

من حركة تصحيحية إلى ثورة!



جمال عبد الناصر، غير مجلس الشعب

« لقد وقف شعبنا في ذلك اليوم من عام ١٩٧١ في مفترق طرق، كان عليه أن يختار بين سلطان القوة وجبروتها، فرضته على شعبنا قلة انحرفت بمسيرة ثورة ٢٣ يوليو عن طريقها السوى، وبين الديمقراطية في معناها الأصيل، كان على شعبنا أن يختار بين حكم مراكز القوى، وبين حكم دولة المؤسسات، تمارس صلاحياتها في إطار من الشرعية وسيادة القانون، واختار شعبنا بإصائله الحضارية طريقه.. طريق الحرية والديمقراطية وسيادة القانون ودولة المؤسسات.. »

يصنعوا فرارهم، تخاذلوا وسفطوا سوطا مدويا، كسفت عن الحسواء الأليم وأكد. كدرس لا ينبغي لشعب أن ينساه، أن أكثر الناس استبدادا ودونية هو أكثرهم جينا على الاطلاق.. وأن الأقوياء هم أقل الناس ميلا للصخب. وأفلهم ميلا لتحطيم الحصور.. وحين بادرت مصر بإعلان مباركتها وتأييدها لما حدث، وحين أعلنت عن فرحتها بسقوط هؤلاء الرجال الجوف.. فإنها في نفس الوقت ظلت تترقب، فالمرارة القابعة في النفوس لا تجعل المصري يتنى بسهولة نيا بدور، وبخاصة إذا جاء «مفاجئا» على هذا النحو. أو جاء طفرة ضد طبائع الأنبياء ولو في طاهرها..

● ولذا ظل ١٥ مايو في نفوس المصريين حركة تصحيحية اتخذت شكل انقلاب فقه، وكان على ١٥ مايو بالفعل أن يتبث أنه ثورة حقيقية وليس مجرد تنبيه في الأشخاص. وإن كانت إزاحة هؤلاء الذين أزيحوا في عهد فلانها غنا كبيرا..

وإذا كنا هنا، لسنا بصدد تاريخ دواب لمسار حركة ١٥ مايو التي انتهت بأن أصبحت ثورة حقيقية. فإننا نكتفي بإبراز أهم اللامع والأطر الفكرية. والإنجازات التي حققتها «الحركة» وهي في طريقها لكي تصبح «ثورة».

● ومع ذلك فلا بد ألا أن نتوقف عند كلمة ثورة: إن الثورة تعني التغيير العنيف، لكن حركة مايو جاءت تغييرا هادئا وإن كان حاسما أكبر من أي فعل عتيف.

النصدي للاحتياجات الجديدة. والتبرار الديمقراطي الذي رعى دروس الهزيمة الملققة التي أصابت مصر: الهزيمة العسكرية على الحدود والهزيمة النفسية التي كسرت كل النفوس وكادت تحول الناس إلى مجرد بيفارات وأدوات لحخدمة فكر غامض مهووس قد ينتهي في ظروف مصر الأليمة، وبخاصة بعد اختفاء عبد الناصر، إلى نبيية وعيالة، حين كادت تستغلب مصر بسبب الكارثة إلى ذلك الاتحاد السوفيتي، الذي بدا في هذه الأيام وفي كافة المحافل الدولية متحدثا باسم مصر. دون أن يتسنى ذلك الاستقطاب بالضرورة مجرد الوصول إلى حل لقضية الحدود والأراضي التي ضاعت وإلا فهل يتصور عائل أن إسرائيل كانت ستجلب عن الأراضي المحتلة مجرد ان الاتحاد السوفيتي «يسضع كل ثقله للوصول إلى حل سلمي للمشكلة» دون الإنساعة من قريب أو بعيد إلى محاولة استخدام القوة أو حتى مجرد التلويح بها.

كانت مصر إذن بعد هزيمة ١٩٦٧ على مفترق طرق، لكن الاختيار أصبح ملحا وضروريا بعد غياب عبد الناصر. وفي الظروف كان محبا أن ينتصر التيار الثاني. وإن كانت المعركة قاسية وتم في ظروف عصية. فقد كان التيار الأول، على الرغم مما كان يحجز من قوة، أنهى بجسد بغير رأس. ففسد كان يتكون في مجموع، من مديري مكاتب ظلوا طيلة حياتهم ينتشرون ترارات قد يحزرون فيها. وقد يستطرون بعضها. وقد يبالغون في البعض الآخر.

لكنهم أبدا لم يصنعوا وحين قدر عليهم أن

وما يحيط بها، بدأت تطل المدرسة الثانية على حذر أحيانا، وفي شكل طفرة في أحيان أخرى لتخفي متحفظة في أحيان أخيرة. وحين نساء القدر أن يختار الرئيس الراحل جمال عبد الناصر من الساحة كان كل من الاتجاهين قد تبلور:

الاتجاه المدرسة الأولى الذي يظن مكابرة وجهلا أن مزيدا من العنف والتمسك هو الكفيل بإخراج مصر من كيوتها

والتياء المدرسة الثانية الذي يرى أن من الذبا ألا تستفيد الأمم من دروس الأيام ونعال الزمن، وبخاصة في مسيرة ثورة ظلت تغل منذ مجيئها.. وليس في هذه الأيام فقط.. أنها تستحق أنكارها من الروائع وليس من النظريات المأهولة.. وإذا كانت المدرسة الثانية على ثقة أن الساروع سيكون في صفها. إلا أن المدرسة الأولى كانت محوز كل مراكز النشل الفاعلة، والقادرة بدورها على تزييف إرادة الساروع. بل ولتكن أكثر صراحة على تضليله بحيث تبرز وقائما المعبرة الحقيقية عنه. في حين أنها أياها ما تكون عنه.. لذا فقد اضطرت المدرسة الثانية إلى استحداث أسلوب التخفي والتسرع الذي مكسبا من النصر الموزر حين: هزيمة في مايو ١٩٧١ ومرة ثانية في فبراير ١٩٧٢ على أكثر الأعداء، قدرة ومخاتلة

رأت، بعدا. يتقلب بين الأخر في جنبه حركة... دستور الثورة الأم، بل بدا أنه... بين التجاوين:... السحرى الذى يعين... أن يكون قادرا على

في الذكرى الخمسين لثورة ١٩٥٢

عندما تتأمل هذه الكلمات التي وردت في رسالة السيد الرئيس أنور السادات في ٢٤ مايو ١٩٧٥، إلى مجلس الشعب بمناسبة الاحتفال بيوم مجلس الشعب وتذكرى ثورة التصحيح. فإننا نحمل دون شك كبير إلى نتيجة سريعا أن ما حدث في ٢٥ مايو ١٩٧١، بغض النظر عن الأحداث والتفاصيل والمسببات كان حقا أن يحدث، فحقن ضارا، منسحقين نسياسيين تقديريين كتابا ما إلى ثورة ١٣ يوليو الأم.

المدرسة الأولى مصطلة في فكر شاول، غاتم طور عمده في كثير من الأحيان، بتعدد ملحمة المؤرخين من الأصوليين، الذي يدور بدلا من أكثر ما وجدنا، من الفكر الذي يفسر، في «حقيقة» حادثة ويبحث دوما في أسبابها، أكثر من تلبية على جادة هذا الفكر التصحيحية بضرورة أن تكون «ثورة» حقيقية أن تكون «ثورة» حقيقية على أمم

المنعرجة في الساحة... التغييرات جهايا القبر... وإن كانت تتغير... مجلس الشعب

والثورة تعني انقطاعا عما مضى. لكن مايو كان تصحيحا لمسار ثورة تحققت بالفعل منذ ما يقرب من عشرين عاما.

كما أن الثورة تأخذ بالإجراءات الاستثنائية لإزالة الخصوم - والقضاء عليهم في كثير من الأحيان - لكن مايو جاء، يشر ببناء القانون وقيام دولة المؤسسات والقضاء كافة الإجراءات الاستثنائية، التي كانت عبئا أكبر على الشعب كله وليس «أعداء الشعب» فقط الذين لم نعد ندري حقيقة وقيمتها من هم وكيف تقتصر هذه الإجراءات الاستثنائية عليهم وحدهم.

فلما إن مصر بدأت ترتب، وتصيح السمع لكل ما يحدث من حركة مايو، وحين بدأت بعض الصحف تسبها ثورة تحفظ الناس إلى صمت ولعل المر بعدد ضمن ما يعود إلى تفرنا العبرة على اقتدار كل الكلمات لمسانتها، وهو ميراث طويل وأصيل كذلك للإعلام المصري، الذي لابد أن نجد له العذر، فكم طلب إليه، السكين، من ترويع لأفكار ثم الترويج لعكسها.. لكن مايو بدأ يؤكد للناس حقيقة أنه يعني

الأولى لثورة التصحيح مشيرا إلى التفرغ الذي حصل عليه ترشيل: «لكني أفضل عكس ذلك. أقول لا أنتي أريد لتجربة الديمقراطية أن تنجح - فهذه المعركة (معركتنا مع العدو) معركتنا كلها، كسب، ونريد أن نعمل لها جميعا، وأن نخوضها ونحن نعلم أن لكل إنسان منا دوره فيها» ويقول الدكتور جمال العطفي وكيل مجلس الشعب في الاحتفال بنس اليوم عام ١٩٧٤ «وجينا انتضت ظيروف المعركة نفويزا لتوقيع صفقات السلاح، لم نخسروا المطلقه فيه - نفويزا بغير حدود، بل فيقود بالموضوع وبالملة.. اتباعا لأحكام الدستور»

لذلك لم يكن غريبا عند قيام أول مجلس للشعب بعد دستور ١٩٧١، أن يظهر الرأي المعارض لأول مرة. حتى قبل أن تنظم المعارضة في شكل أحزاب أو مستقلين.

يقول السيد الرئيس في نفس حديثه السابق «على سبيل المثال تقدمت أنتم باستجواب في موضوع الانتداب، وذكرت

تصايها. بل كان أمرا محققا لتحقيق معجزة العبور وإحراز النصر، وهكذا أصبح لمصر «دع وسيف» كما كان أمرا لازما لكي يستعيد الجيش كرامته هو بعد أن عثر على دوره الصحيح. وبعد أن ضلته جماعات القري والضبط التي كانت تسعى إلى مصالحها الضيقة والانتانية ولو على حساب كل قري الأمة وفي مقدمتها الجيش نفسه. وليس من الخطأ أن نقرر أن خطورة كهذه إنما هي أمر طبيعي مع «ثورة» تعني ماتقول، فالديمقراطية تعني التعدد والاختلاف وهذا أمور لا ينبغي لجيش أن يتورط فيها. وحبه أن يظل درع الأمة، الحارس لنظامها الترمي رسته المستور، وما يبيت الأمل حقا أن الأمر ليس مجرد شعار، بل هو حقيقة وانفة. بدعمها بالتأكيد إيمان قادة الجيش أنفسهم وعلى رأسهم الفريق أول الجسي بذلك. ونستطيع أن نرى على ذلك مئات الأدلة مستخلصة من أقوال القادة العسكريين أنفسهم.

وإذا كنا قد حسبنا مايو ديوتراطيت وحسه في وقت معا، وهي معادلة صعبة وجدت حلها في البداية في شخصية القائد.



جامع ١٥ مايو خرجت نزيدي الرئيس السادات

ونجد سندها الآن في المؤسسات الثقافية بالإضافة إلى إيمان القائد بها، فلا بد أن نضيف محي إلى قيادة مايو - وهذا ملحق هام من ملاحظها - أنها تضع بلادها نصب أعينها. «فكرامتي هي كرامة بلدي» كما يقول السيد الرئيس.

●●● إن انجازات حركة مايو وهي في طريقها كي تصبح ثورة كريمة، لكن الضرورة ندعونا أن نوزج النشاط التالية فيما يلي:

١- بالنسبة للساحة العربية: استعادت مصر اسمها بموجب دستور ١٩٧١ وبذلك أزال هذا التعارض الصلطي بين مصريتها وغربيتها وهذا أمر ساهم فيه لألف الدعاة التحمس للثورة، حين

هنا كل الحقائق «وفي مكان آخر يقول» لم يمض المجلس شهرين حتى تقدم باستجواب والاستجواب يعني اتهام المحكمة.. ولم يحدث بسبب ذلك أن خرجت الدنيا «.. نعم، فن يتذكر أن مجلس الأمة عام ١٩٦٥ وافق على كل الإجراءات الاستثنائية للناسية التي اتخذت في غيبه يدرك معنى كلمات السيد الرئيس هنا.

ونجد أننا هنا يذلل واحد من أخطر الانجازات التي حققتها مايو، والتي يستحق من أجله وحده أن يتحول من مجرد حركة تصحيح إلى ثورة، ألا وهو تحويل الجيش إلى جيش مشائ بنأى بنفسه عن السياسة ومتاعها وبذلك.. إن ذلك لم يكن ضروريا فقط لتصحيح مسار الثورة، وعودة الطائفة إلى الشعب ووضع الأمور في

ما يقول، وبدأت تتبلور ملامحه فصدر الدستور الدائم في ١١ سبتمبر ١٩٧١، وفامت دولة المؤسسات وتحققت سيادة القانون وتم الفصل بين السلطات الثلاث، وبدأت تقوم سلطة رابعة تحقّق رقابة الشعب على كافة السلطات وهي الصحافة، وصنيت الحراسات وأغلقت المعتقلات، وتشكل مجلس الشعب. وألغى الدستور حق رئيس القولة في حله إلا بعد إجراء استفتاء شعبي عام، وعلى الرغم من الظروف الاستثنائية التي كانت مصر - ولا تزال - تمر بها وبخاصة بعد ١٥ مايو ١٩٧١ فإن رئيس الجمهورية رفض أن يحصل على ما حصل عليه ترشيل من نفويز مطلق أثناء الحرب العالمية الثانية. يقول السيد الرئيس في حديثه إلى مجلس الشعب في ١٤ مايو ١٩٧٢ بمناسبة الذكرى

طسوا اسمها مرة أثناء الوحدة بتسميتها بالأقليم الجنوبي. ومرة بعد الانفصال بتسميتها بالجمهورية العربية المتحدة.. وفي حين ظلت كل الدول العربية تحتفظ باسمها كان على مصر وحدها دون خلق الله جيبا أن تتنازل عن اسمها.. وكان لذلك رد فعل عكسي لدى المصريين وبقيته العرب. وكان اسم مصر يكتب حاسية غريبة ضارة أكثر منها نافعة. ولم تعد مصر تسعى إلى الوحدة العربية هذا السعي التذرع الذي نسوه نواياها. لكنها كذلك لم تسع إلى التوسّع ولم تعد مصر حريصة على تصدير أفكارها الثقافية. وهي أنكار إصلاحية على أحسن تقدير وليست ثورية بأية حال إلا في الأسلوب فقط.. وبذلك خلقت ركيزة عظيمة للتضامن العربي، المطلق الخفيق للوحدة العربية. والذي مكن العرب بالفضل من استخدام سلاح البترول والتضامن العصري في حرب ١٩٧٣ المجيدة.

٢- بالنسبة للعدو:

طرحت مصر مايو بعد حرب طائرة أول مواجهة فكرية وسلوكية مع العدو فأبطلت حججه وألزمته لأول مرة جانب الدفاع في الحرب وفي السلم معا وأمسكت بمعها الأمة العربية بزمام المبادرة، وأدركت البهية التي تقول: إنك لكي تغير أمرا وأنما فعليك أولا أن تعترف بوجوده. فإفكار الحقائق ضلال للنفس وتضليل للغير.. ومع ذلك نالاعتراف بحقيقة ما أرمي أصح بواقعة ما لا يبي أن أيدية خالدة، لكن لترك المستقبل للمستقبل. ولتهد له بجل أزمات الحاضر.

٣- بالنسبة للعالم:

سعت مصر إلى الإنفلات من شرك الاستقطاب القاتل حرصا على إرادتها الوطنية، وهلا لشكلتها القومية، والفتنة على العالم كله بعيدا عن الرصاصة الثقيلة كأندام الدب وأبرز مثال على ذلك الاستثناء عن خدمات الخبراء السوفيت في جيش مصر. وحلت الدبلوماسية المهادنة محل الصراخ والتشنج، وبدأت مصر تستخدم الكلمات الواردة في قوانين السياسة المهادنة بعد أن قدر عليها أن تدفع القتال والتفيس ثمتا لكلمات لم تفعل شيئا سوى أن ألحقت أكف البعض بالتصفين وإن كانت قد أثاروت تحفظ العقلاء.. وحقيقة القير.

●●● وهكذا يجد مصر ما بعد ١٥ مايو صورة مخالفة لمصر قبل ١٥ مايو في كافة المجالات. وهذا ما تفعله الثورات الحقة وما نتوء به حركة محدودة.. لحقا فقد استطاع مايو بذاب وخطر حيث أن بئب للجميع أنه ثورة حقة.



● خبراء التجارة العرب يتابعون مناقشات الدورة.

١٩٧٧

عام تطوير

السوق العربية المشتركة

أسامة أيوب

ما أجمع عليه المشاركون فيها - ضرورة توسيع السوق العربية المشتركة لتشمل كل الدول العربية.. وقد أكد د. عبدالعال الصكيان الأمين العام لمجلس الوحدة الاقتصادية أن المجلس يرفع شعار أن عام ٧٧ هو عام تطوير السوق العربية المشتركة. ومن أجل هذا لم تكن هناك صعوبة في الاتفاق على خطوط عريضة لاستراتيجية عربية لتنمية الصادرات.

● ● ● وتركزت خطوط هذه الاستراتيجية

في:

- هيئة عربية لقضايا الصادرات
- جهاز تنمية الصادرات في كل قطر عربي.
- إبرام العقود متعددة الأطراف بطريقة الأجل.
- كانت الأمانة العامة لمجلس الوحدة قد قدمت ورقة عمل للدورة تضمنت خطة لتنمية الصادرات العربية جاء فيها:
- ضرورة قيام الدول العربية بالتخفيف من القيود النقدية في الدول العربية التي تخصص ميزانية سنوية للاستيراد بالعملة الحرة.
- وضع برنامج شامل للتبادل التجاري بين الدول العربية يقوم على تشجيع كل دولة عربية على استيراد احتياجاتها من الدول العربية الأخرى.
- وقد طالب الحاضرون في الدورة بضرورة إبعاد المصالح الضيقة للأمة العربية عن تذبذب المواقف السياسية اليومية المتغيرة.
- وهذا المعنى أكدته عضو وفد العراق فالح علي الصالح حين قال إن المهم ليس هو الانسحاق على قرارات وتوصيات هناك أكادس من الاتفاقات فيها مصالح العرب ولا تنفذ ولكن المهم هو توافر الجهد الصادق لخدمة المصالح المصرية للأمة العربية.
- وقالت منيرة البدر عضو وفد الكويت والتي رأت إحدى جلسات الدورة: أنه من الضروري بعد انتهاء الدورة أن نعود لبلادنا ونعمل على تنفيذ مااتفق عليه وتحويله إلى واقع على.

- من أجل تنمية الصادرات العربية كخطوة هامة على طريق الوحدة والتكامل الاقتصادي العربي.
- دعا مجلس الوحدة الاقتصادية خبراء التجارة العرب لدعوة علمية تبحث أساليب تنمية صادرات الدول العربية فيما بينها.
- ماذا دار في مناقشات هذه اللجنة؟ ما هي الحقائق المذهلة التي كشفتها المناقشات عن حجم التبادل التجاري العربي؟ كيف ينمي العرب صادراتهم؟..

الامن الغذائي للعرب

وقال الدكتور عبد العزيز حجازي: إن الدول العربية النفطية أصبحت قوة مؤثرة في تطور الاقتصاد العالمي وهذا يخلق مخاطر استغلال الدول المتقدمة لتفوقها في مجال الإنتاج الغذائي كسلاح في بعدها لقرصن شروطها التمسكية على التبادل التجاري وفي ضغوطها السياسية.

وطالب بضرورة إدراك الدول العربية لأهمية تحقيق الأمن الغذائي لشعوبها.

كما بحث الخبراء العرب الأسباب التي تعوق تنمية الصادرات العربية وكان أهم هذه الأسباب عدم وجود إطار تنظيمي لعملية التبادل التجاري بين الدول العربية.

أيضا من أهم مقومات تنمية الصادرات العربية النقص في وسائل النقل وعدم كفاءة كثير من الموانئ العربية.

غير أن أهم معرقة يقف أمام تنمية الصادرات العربية كما أكد الخبراء العرب هو عدم معرفة كل دولة بما تنتجه الدولة الأخرى وطالب المشاركون في الدورة بضرورة إعداد كل دولة قائمة تتضمن السلع التي يمكنها تصديرها.

استراتيجية عربية لتنمية الصادرات

و قد أظهرت مناقشات الدورة. وهذا

على ٣٪ من إجمال صادراتها. وأرجع خبراء التجارة العرب ذلك إلى أسباب تاريخية وسيكولوجية نتيجة ارتباط كثير من الأسواق العربية بالدول الصناعية المتقدمة منذ عهد الاستعمار. كما أنه لا تزال تسيطر على عقل المستهلك العربي عقدة «الخارجة» كما سماها الدكتور عبده سلام وزير الصحة السابق ورئيس الشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية. وطالب بضرورة التزام الدول العربية بتفضيل استيراد السلع والتجهيزات العربية لأسباب قومية.

● عبد العزيز حجازي
تحقيق الأمن الغذائي

لقد كان هناك إجماع على ضرورة افتتاح العرب على أنفسهم اقتصاديا، خاصة أننا نعيش في عالم تتصارع فيه القوى والتكتلات الاقتصادية الكبرى كما يقول الدكتور عبد العزيز حجازي

- وليس أمام العرب إلا تنمية صادراتهم كضرورة لدفع معدلات التنمية في كل بلد عربي.

قال الدكتور عبدالعال الصكيان أمين عام مجلس الوحدة إنه لأول مرة يرى العرب يناقشون قضية قومية بعيدا عن اختلاف الانحيازات والتصنيفات السياسية.

٣٪ فقط !

كشفت مناقشات الدورة والأبحاث التي قدمت عن حقائق خطيرة لها يتعلق بالتبادل التجاري بين الدول العربية. فهناك الكثير من السلع والمنتجات التي تستوردها بلدان عربية من الخارج وخاصة من دول أوروبا والولايات المتحدة متوافرة وتشكل فائضا لدى دول عربية أخرى وتقوم بتصديرها لخارج المنطقة العربية.

وصف المشاركون في الدورة حقائق التبادل التجاري بين الدول العربية بأنها مثل ظاهرة مخجلة حيث أن الدول العربية تصن ٩٨٪ من صادراتها للدول الصناعية المتقدمة. ٩٨٪ للدول النامية بينما لا تزيد نسبة صادرات الدول العربية إلى بعضها البعض

١٢